مابين الظل والضوء تولد حميمة المكان

منذُ أن عُرف الفوتوغراف على أنهُ الرسم بالضوء, بدأ المصورون يظهرون مهاراتهم ورؤيتهم في كيفية صياغة عمل فني يستند الى عين الكاميرا والتي هي عبارة عن رؤية الفنية للمصور , حين يحاول أن يلتقط ما تراه عينهُ في الوجود المحيط به , ورصد العلاقات السائدة مابين العناصر والموجودات في هذا المكان أو تلك المدينة بما تحتوية من وجوه عابرة و شوارع وأرصفة مكتنزة بالذكريات وحكايات الناس

في خريف عام 2014 أستضاف الكولكتر الأمريكي وأحد مدرسي تاريخ الفن (تيد ديكر) في وسط مدينة فينكس الفنان الفوتوغرافي البرازيلي (وندرسون أليف) ليقدم لنا مجموعة من الأعمال الجميلة بالأسود والأبيض , في هذا المعرض يسرد لنا الفوتوغرافي وندرسون اللحظات الحميمة المتناثرة هنا وهناك في المدينة الكبيرة سابولو البرازيلية , هو لا يصطاد الوجوه والأشخاص بحالاتها الطبيعية , وهو لا يعمل على المحاور المتعارف عليها في الفوتوغراف من تصوير جمالية المكان أو الأشخاص أو الطبيعة وفق الأبعاد الزمنية المتعارف عليها في المنظور الزمني والمكاني , بل هو يذهب أبعد من ذلك في رصد ماوراء الشخوص من حالات سايكولوجية يمر بها الأنسان , ويوثق جمالية اللحظة الدافئة التي تسكن هذا الشارع أو ذاك المقهى , لذلك هو أعتمد على أختيار التصوير بالأبيض والأسود كي يحصل على صور أكثر تأثيرا في وجدان المتلقي , حيث يلعب تناغم التونات بين درجات الضوء ودرجات الظل على خلق حالة جمالية رائعة تعطي للجانب السايكولوجي مزيدا من التباين في حالة الخلق الفني التي يحاول أن يوصلها الفنان الى عين المتلقي , التكنيك الآخر الذي أستخدمه (وندرسون) هو جعل الكاميرة والعدسة تشتغل بدون خاصية التركيز في عدد من الأعمال

هذا التكنيك ساهم في جعل الصور التي أخذت به تبدو وكأنها تصور أجواء وجدانية حالمة , وأحيانا مؤلمة حين تذكرنا بأناس أفتقدناهم لذلك نعود لزيارتهم في المقابر .

أضافة الى ذلك نجد الفوتوغرافي (وندرسون) قد أستخدم مشاهد وأمكنة تحتوي على

العناصر المهمة في الفن بشكل عام مثل التباين والتناظر بين الأشكال كما نرى ذلك في صورة شواهد المقبرة , وأستخدم حالة الأنعكاس مرة من خلال أنعكاس الأشكال والمشاهد في الماء وأخرى أنعكاسها من خلال زجاج نوافذ الشقق أو السيارات , ويعد عنصر الأيقاع أو التناغم الشكلي من العناصر التي أستخدمها الفوتوغرافي وندرسون بشكل متميز , حيث نجد ذلك التناغم بوضوح مابين الأجسام والأشكال المعتمة والمضيئة بشكل ملفت بحيث أعطى ذلك قيم فنية رائعة لأعماله الفوتوغرافية . الفوتوغرافي البرازيلي (وندرسون) قدم من خلال معرضه الذي أقامه في مدينة فينكس ولاية أريزونا الأمريكية صور ومشاهد حميمية دافئة وحالمة , فهو يلتقط الأحساس الجمالي لتلك اللحظة التي يمر بها الأنسان حين يختلي مع نفسه , وكأنهُ يصور أنثيال حلمي يمر به الأنسان.

في هذا معرض يتخطى الفوتوغراف الحدود المألوف ليغوص في الأبعاد الجمالية للصورة ولكن بمضامين أنسانية وروحية ممتعة , ليقولنا لنا أن هذا الفن هو ليس أرشيف جمالي وحسب , وإنما له أبعاد أنسانية وروحية تغوص في وجدان الأنسان والبحث في كينونة الأشياء ومبعث جمالياتها , وبقدر ماتبين أعمال وندسون الفوتوغرافية جمالية الرسم بالضوء وأستخدام أنكسارات الضوء والظل وانعكاس الأجسام في الماء والزجاج متعة هذا الفن وسحره الخلاب , ولكن تبين المشقة والجهد الذي يبذلهُ الفنان الفوتوغرافي للوصول الى الصورة المميزة والرائعة بكل أبعادها الجمالية والأنسانية

سلمان الواسطي

فينكس _ ولاية أريزونا